بعثة النبي الأعظم

تظهير سر الوجود

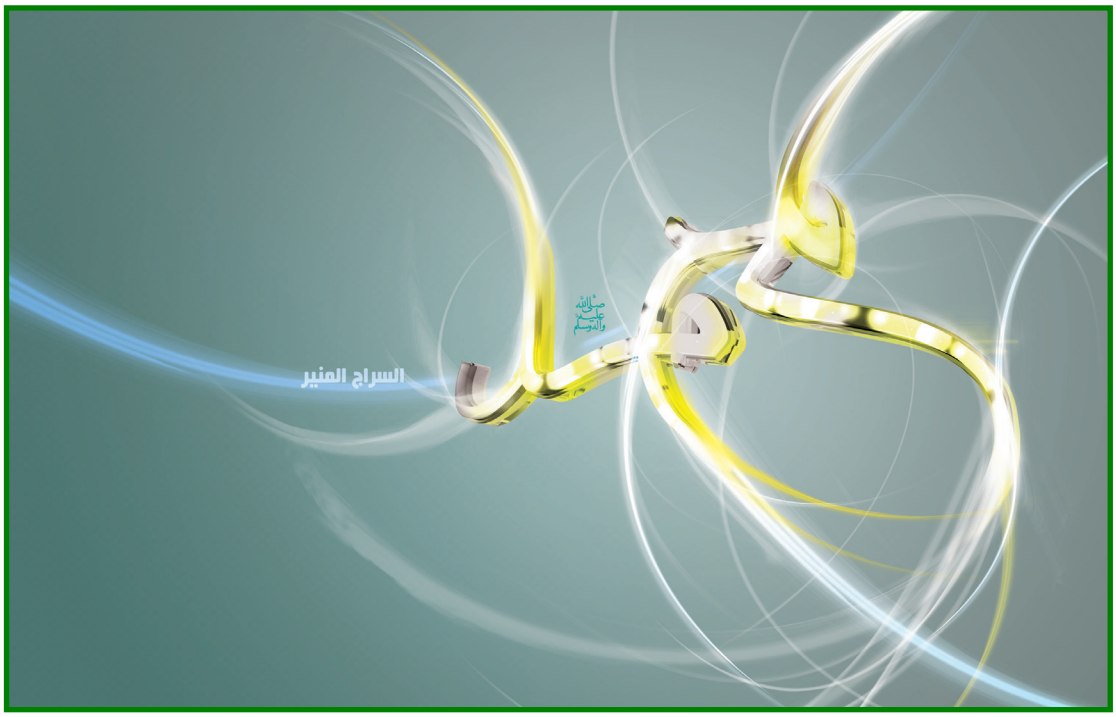

- خير مـمّـا طلعت عليه الشمس
- المبعوث رحمة للعالمين
- البعثة تظهير سرّ الوجود
- بشارات الأنبياء بخاتم النبيّين
- ولقد رآه بالأفق المبين
- حقيقة البعثة في فكر الإمام الخميني

في استقبال يوم المبعث

صلِّ على من فيه إلى عبادك أرسلتَه، وبالمحلّ الكريم أَحْلَلْتَه.
أللهمّ صلِّ عليه صلاة دائمةً تكون لك شكراً ولنا ذُخْراً.

● **من مذخور أدعية رجب: دعاء الإمام الكاظم عليه السلام**

سنة تسع وسبعين و مائة ١٩٧ هجرية إستدعى النظام العباسي في زمن هارون المعروف بالرشيد، الإمام الكاظم عليه السلام من المدينة المنورة إلى بغداد في سياق معاناة الإمام المتكررة مع الإمبراطورية العباسية، وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب يوم المبعث صلى الله على المبعوث فيه وآله وسلم، فدعا الإمام الكاظم عليه السلام بهذا الدعاء:

يا من أمر بالعفو والتجاوز، وضمّن نفسه العفو والتجاوز، يا من عفى وتجاوز، أعْفُ عنّي وتجاوز يا كريم، أللهم وقد أكْدَى الطلبُ وأَعْيَت الحيلةُ والمَذْهَب ودَرِست الآمال وانقطع الرجاء إلا منك وحدك لا شريك لك.

أللهم إني أجد سبل المطالب إليك مشرعة، ومناهل الرجاء لَديْك مُتْرَعَة، وأبوابَ الدُّعاء لمن دعاك مُفَتَّحَة، والإستعانة لمن استعان بك مباحة. وأعلم أنك لداعيك بموضع إجابة وللصارخ إليك بمرصد إغاثة، وأن في اللَّهَف إلى جودك والضمان بِعِدَتِك عِوَضاً من منْع الباخلين، ومَنْدوحَةً عما في أيدي المستأثرين، وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمالُ دونك، وقد علمت أنَّ أفضَلَ زادِ الراحل إليك عزمُ إرادةٍ يختارُك بها، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي. وأسألك بكل دعوة دعاك بها راجٍ بلَّغتَه أمَلَه، أو صارخٌ إليك أغثْتَ صرختَه، أو ملهوفٌ مكروبٌ فرَّجْتَ كَرْبَه، أو مذنبٌ خاطئٌ غفرت له، أو مُعافَىً أتممت نعمتك عليه، أو فقيرٌ أهديت غناك إليه، ولتلك الدعوة عليك حقٌّ وعندك مَنْزِلَة، إلا صَلَّيْتَ على محمد وآل محمد وقَضَيْتَ حوائجَ الدنيا والآخرة. وهذا رجبٌ المرجَّب المكرَّم الذي أكرمتنا به، أولُ أشهرِ الحُرم، أكرمتنا به من بين الأمم، يا ذا الجُود والكرم، فنسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، أن تصليَ على محمد وأهلِ بيته الطاهرين، وتجعلَنا من العاملين فيه بطاعتك والآملين فيه بشفاعتك. أللهم واهدنا إلى سواء السبيل واجعل مقيلَنا عندك خيرَ مَقيل في ظل ظليل، فإنك حسبنا ونعم الوكيل، والسلام على عباده المصطفيْن وصلاتُه عليهم أجمعين، أللهم وباركْ لنا في يومنا هذا الذي فَضَّلْتَه وبكرامتك جَلَّلْتَه وبالمنزل العظيم الأعلى أنزلته، صل على من فيه إلى عبادك أرسلتَه. وبالمحلّ الكريم أَحْلَلْتَه. أللهم صل عليه صلاة دائمةً تكون لك شكراً ولنا ذُخْراً، واجعل لنا من أمرنا يُسْراً، واختم لنا بالسعادة إلى منتهى آجالِنا، وقد قَبِلْتَ اليسيرَ من أعمالنا وبَلِّغْنا برحمتك أفضلَ آمالِنا إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وسلم.

● **عن الإمام الصادق عليه السلام : من أراد أن يسر محمداً وآله في الصلاة عليهم، فليقل :**

أللهم يا أجود من أعطى، ويا خير من سُئل، ويا أرحم من استرحم، أللهم صلّ على محمد وآله في الأولين، وصلّ على محمد وآله في الآخرين، وصلّ على محمد وآله في الملأ الأعلى، وصلّ على محمد وآله في المرسلين، أللهم أعط محمداً وآله الوسيلة والفضيلة والشرف والرفعة، والدرجة الكبيرة. أللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته وتوفّني على ملته، واسقني من حوضه مشرباً رَوِيّاً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً، إنك على كل شيء قدير، أللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره، فعرِّفني في الجنان وجهه، أللهم بلّغ محمداً صلّى الله عليه وآله مني تحيةً كثيرةً وسلاما.

في رجب ليلةٌ خيرٌ مما طلعت عليه الشمس

عَصَمه اللّٰه من الخطأ، وطهَّره من الرجس، وبعثه إلى الخلائق أجمعين، وجعله حجة على العالمين، وارتضاه إماماً للمؤمنين، وقدوةً للمسلمين، ولأجله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه ودليله، وبابه الذي يؤتى منه ونوره الذي يستضاء به، وأمينه على بلاده، وحبله المتصل بينه وبين عباده، من رسل وأنبياء وأئمة وأولياء النراقي: جامع السعادات، ج ٣ ، ص ٨١٣

تتناسب فضيلة ليلة المبعث ويومها مع فضيلة الهدى الإلهي الذي تمثله أفضل رسالات السماء التي أنزلت على سيد النبيين ﷺ.

وقد ورد التأكيد في الروايات على عظيم فضل ليلة السابع والعشرين من رجب، الذي هو فضل تكتسبه هذه الليلة من فرادة فضل اليوم السابع والعشرين، يوم عيد المبعث النبوي الشريف.

فضيلة الليلة

كان رسول الله ﷺ، إذا جاء شهر رجب، جمع المسلمين حوله، وقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكَرَ مَن كان قبله من الأنبياء، فصلى عليهم، ثم قال:

«أيها المسلمون قد أظلكم شهر عظيم مبارك، وهو شهر الله الأصب، يصب فيه الرحمة على عباده، إلا عبداً مشركاً، أو مُظهِرَ بدعة في الإسلام، ألا إن في شهر رجب ليلةً من حرَّم النوم على نفسه وقام فيها، حرم الله تعالى جسده على النار، وصافحه سبعون ألف ملك، ويستغفرون له إلى يوم مثله، فإن عاد عادت الملائكة، ثم قال: من صام يوماً واحداً من رجب، أمن من الفزع الأكبر، وأجير من النار».

*عن الإمام الجواد عليه السلام، أنه قال: إن في رجب ليلة هي خير مما طلعت عليه الشمس وهي ليلة سبع وعشرين من رجب، نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ في صبيحتها. وإن للعامل فيها من شيعتنا أجرَ عمل ستين سنة.»

فضيلة يوم المبعث: التَّجَلِّي الأعظم

سُئل الإمام الصادق عليه السلام: غير هذه الأعياد شيء؟ قال: نعم. أشرفها وأكملها اليوم الذي بعث فيه رسول الله ﷺ. فقيل له: فأي يوم هو؟ قال: إن الأيام تدور، وهو يوم السبت لسبع وعشرين من رجب، فقال السائل: فما نفعل فيه؟ قال: تصوم وتكثر الصلاة على محمد وآله عليهم السلام.

ومن الأدعية التي ورد استحباب قراءتها في اليوم السابع والعشرين من رجب ما يكشف عن فرادة فضيلة يوم المبعث، ومنها هذا الدعاء:

أللهم إني أسألك بالتَّجَلِّي الأعظم في هذا اليوم من الشهر المعظَّم، والمُرسل المكرم أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تغفر لنا ما أنت به منا أعلم، يا من يعلم ولا يُعلم، أللهم وبارك لنا في يومنا هذا الذي بشرف الرسالة فضلته وبكرامتك أجللته، وبالمحلِّ الشريف أحللته.

أللهم فإنا نسألك بالمبعث الشريف والسيد اللطيف والعنصر العفيف أن تصلي على محمد وآله، وأن تجعل أعمالَنا في هذا اليوم وفي سائر الأيام مقبولة وذنوبنا مغفورة، وقلوبَنا بحسن القبول مسرورة، وأرزاقَنا باليُسر مَدْرُورَة.

أللهم إنك تَرى ولا تُرى وأنت بالمنظر الأعلى وإن إليك الرجعى والمنتهى، ولك المماتُ والمَحيا، وأن لك الآخرةَ والأولى، أللهم إنا نعوذ بك أن نَذِلَّ ونَخْزَى وأن نأتيَ ما عنه تَنْهَى.

أللهم إنا نسألك الجنة برحمتك ونستعيذ بك من النار، فأعذنا منها بقدرتك، ونسألك من الحور العين، فارزقنا بعزتك واجعل أوسع أرزاقنا عند كبر سننا، وأَحْسَنَ أعمالنا عند اقتراب آجالنا. وأَطِلْ في طاعتك- وما يُقَرِّبُ إليك ويُحْظِي عندك، ويُزْلِفُ لَدَيْكَ - أعمارنا، وأَحْسِنْ في جميع أحوالنا وأمورنا مَعْرِفَتَنا، ولا تَكِلْنا إلى أحد من خلقك. وتفضّل علينا بجميع حوائجنا للدنيا والآخرة. وابدأ بآبائنا وأمهاتنا وجميع إخواننا المؤمنين في جميع ما سألناك لأنفسنا يا أرحم الراحمين.

أللهم إنا نسألك باسمك العظيم وملكك القديم أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تغفر لنا الذنب العظيم، إنه لا يغفر العظيمَ الا العظيم. أللهم وهذا رجب المكرم الذي أكرمتنا به أولُ أشهرِ الحُرُم، أكرمتنا به من بين الأمم فلك الحمد يا ذا الجود والكرم.

أللهم فانا نسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في مُلكك فلا يَخرج منك إلى غيرك، فأسألك أن تصلي على محمد وأهل بيته الطاهرين، وأن تجعلنا فيه من العاملين بطاعتك والآمنين فيه برعايتك.

أللهم اهدنا إلى سواء السبيل واجعل مقيلَنا عندك خيرَ مقيل في ظلٍّ ظَليل ومُلْكٍ جزيل، فإنك حسبنا ونعم الوكيل.

أأللهم اقلبنا مُفْلِحين مُنْجِحين غيرَ مغضوب علينا ولا ضالين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم اسجد وقل: ألحمد لله الذي هداني لمعرفته، وخصني بولايته، ووفَّقني لطاعته، شكراً شكراً. مائة مرة. واسأل حاجتك وادع بما تشاء.

المبعوث رحمة للعالمين

قال رسول الله ﷺ:
ياعلي ماعرف الله إلا أنا وأنت، ولاعرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا.
ما عرف الله غير أنا وعلي، ولا عرفني غير الله وعلي، ولا عرف علياً غير الله وأنا.
والمراد هو حق المعرفة وأتم مصاديقها. وفي مايلي تعريف برسول الله ﷺ:
كما عرفه الله تعالى. وكما عرف هو نفسه صلى الله عليه وآله. وكما عرفه أمير المؤمنين عليه السلام
ويقتصر من كل مورد على شواهد:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب ٣٦

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ الشورى: ٢٣

كما عرف نفسه

قال صلى الله عليه وآله:

- «أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثاً».
- «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين».
- «خلق الله روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الله الخلق بألفي ألف عام».
- «فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، وقدسنا فقدست الملائكة بتقديسنا».
- «أنا وعلي من نور واحد، وأنا وإياه شيء واحد، وانه مني وانا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي، يريبني ما أرابه، ويريبه ما أرابني».
- «أنا أفصح العرب والعجم».
- «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً».
- «عُلِّمْتُ علوم الأولين والآخرين».
- «أنا سيد ولد آدم».
- «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة».
- وقد رأى بعض أصحابه ينظر في التوراة، فقال بعدما رؤي الغضب في وجهه: «لو كان موسى حيّاً لما وسعه إلا اتباعي، مثلي في الأنبياء مثل رجل بنى حائطاً فأكمله إلا موضع لبنة منه، وكنت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا سنّة بعد سنّتي».

كماعرَّفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

بعثة رسول الله ﷺ، وسر بعثة الأنبياء:

فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته. ويذكروهم منسي نعمته. ويحتجوا عليهم بالتبليغ. ويثيروا لهم دفائن العقول ويروهم الآيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع. ومعايش تحييهم وآجال تفنيهم. وأوصاب تهرمهم. وأحداث تتابع عليهم. ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل. أو حجة لازمة، أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم. ولا كثرة المكذبين لهم. من سابق سُمِّي له مَن بعده، أو غابر عرفه مَن قبله. على ذلك نسلت القرون. ومضت الدهور. وسلفت الآباء. وخلفت الأبناء. إلى أن بعث الله سبحانه محمداً

رسول الله ﷺ لإنجاز عدته، وتمام نبوته. مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده. وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة. وأهواء منتشرة. وطوائف متشتتة. بين مشبِّهٍ لله بخلقه، أو مُلحدٍ في اسمه، أو مشيرٍ إلى غيره. فهداهم به من الضلالة. وأنقذهم بمكانه من الجهالة.

المنبت

مستقره خير مستقر. ومنبته أشرف منبت. في معادن الكرامة، ومماهد السلامة. قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثنيت إليه أزمّة الأبصار. دفن به الضغائن. وأطفأ به الثوائر. ألّف به إخواناً، وفرق به أقرانا. أعز به الذلة، وأذل به العزة. كلامه بيان وصمته لسان.

خير البرية

بعث الله محمداً ﷺ شهيداً وبشيراً ونذيراً: خيرَ البريَّة طفلاً، وأنْجَبَها كهلاً. أطهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة.

أعظم ملَك

ولقد قرن الله به ومن لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

العرب قبل البعثة

إن الله بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين. وأميناً على التنزيل. وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار. منيخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم. الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة.

رحمة للعالمين

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك، وكان أهله، واصطفاه لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان علمه فيه رؤوفاً رحيماً، أكرمَ خَلْقِ الله حسَباً، وأجملهم منظرا، وأسخاهم نفساً، وأبرّهم لوالدٍ، وأوصلهم لرحم، وأفضلهم علما، وأثقلهم حلما، وأوفاهم لعهد، وآمنهم على عقد، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يُظلَم فيَغْفر، ويقدر فيَصفَح حتى مضى صلى الله عليه وآله وسلم مطيعاً لله صابراً على ما أصابه، مجاهداً في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه و آله وسلم، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض : البَرّ والفاجر.

نهج البلاغة.

.. وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة:

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ وليس أحدٍ من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعي نبوة ولا وحياً. فقاتل بمن أطاعه مَن عصاه. يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم. يحسر الحسير ويقف للكسير فيقيم عليه حتى يُلحقه غايته إلا هالكاً لا خير فيه. حتى أراهم منجاتهم، وبوّأهم محلتهم فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. وَأَيْمُ الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها، واستوسقت في قيادها، ما ضعفت ولا جبنت، ولا خنت ولا وهنت. وأيم الله لأبْقُرَنَّ الباطل حتى أُخرج الحق من خاصرته...

مالي ولقريش. والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين. وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم. والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمتَ لعمري شربك المحض صابحا
وأكلك بالزبد المقشرة البُجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن عليّاً
وحطنا حولك الجرد والسمرا.

نهج البلاغة.

المحض: اللباب.
المقشرة البجر: حبات الرطب أو التمر الكبار
الجرد والسمر: الخيل.

البعثة
تظهير سر الوجود

«أول الأنبياء خَلْقاً وآخرُهم بعثاً» هكذا قدَّم رسول الله ﷺ نفسه إلى الأجيال، وعلى هذا بَنت الأمة عقيدتها به صلى الله عليه وآله فهو النور الأول، وسر النشأتين.

سأله الصحابي الظاهرة جابر بن عبد الله الأنصاري: أول شيءٍ خلق الله ما هو؟ فقال: «نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير..».

وتتعامل المصادر الشيعية والسنية مع هذه الرواية، ورواية «أول الأنبياء خلقاً، وآخرهم بعثاً» باعتبارهما المقتضى الحتمي لكونه صلى الله عليه وآله وسلم سر الخلق بإذن الله تعالى «لولاك ماخلقت آدم، لولاك ماخلقت الأفلاك.» كما في الحديث القدسي المجمع على مضمونه.

تمس الحاجة إلى استحضار هذه الثوابت الإعتقادية كلما فكر المسلم في دلالات «أشهد أن محمداً رسول الله». إلا أن الحاجة إلى استحضار هذه الثوابت أشد إلحاحاً عند الحديث عن البعثة النبوية المباركة.

والسبب هو أن يتضح التهافت في بعض ما يروى عن مجريات البعثة– أو في السيرة النبوية عموماً– مما لا يتناسب مع عظمة مؤمن عادي، فضلاً عن عدم تناسبه إطلاقاً مع عظمة سيد الأولين والآخرين.

والمقصود هنا بالتحديد رواية أن رسول الله ﷺ عرف بنبوته من ورقة بن نوفل! وما نسج في هذه الرواية المفتراة، وكل مايشبهها ويلحق بها، مما يشكل قطعاً وتناقضاً بين عقيدة المسلمين المجمع عليها في عظيم منزلة سيد النبيين، وبين ما يقدم باعتباره من سيرته صلى الله عليه وآله.

ويأتي مزيد إيضاح.

من أجل ضمان سلامة المنهج في التعرف إلى رسول الله ﷺ سواء في أجواء البعثة أم غيرها، ينبغي الوقوف عند المرتكزات العقائدية التي تؤكد على معرفة رسول الله ﷺ وفق الأسس التالية:

١. أول ما خلق الله.
٢. أخذ الله تعالى ميثاق النبيين بالإيمان به.
٣. الشاهد على الأنبياء.
٤. أن الأنبياء بشروا به على نبينا وآله وعليهم الصلاة والسلام.

والجامع بين هذه الأسس أن الله تعالى، قد علم قبل خلق الخلق، بما سيكون عليه أمر الناس «بني آدم» من بداية الخلق إلى نهاية الحياة الدنيا، عندما يكونون في معرض التكليف الإلهي، ومن هم المطيعون ومن هم العاصون، أو الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، كما علم من هم سادة المطيعين للحق.

ويقرب هذه الحقيقة مع الفارق الكبير علم الأستاذ بنتائج امتحان تلامذته، وكيف أن بإمكانه أن يحدد العلامة التي سيحصل عليها كل منهم، من دون أن يعني ذلك أي تدخل منه، أو تلقين، وإنما بناء على رعاية العدل والمواساة في الإمتحان، لتكون النتائج رهن فعل التلميذ.

وعلم الله تعالى لايقاس به علم، فهو سبحانه بكل شيء عليم، كان مستقبل مشروع الإنسان، في الدنيا وما بعدها، حاضراً لا تخفى منه خافية، فكان عالم الذر تمهيداً للنشأة في هذه الحياة الدنيا كتمهيد الخارطة للبناء.

وكان الإنسان الأول الذي خلقه الله تعالى قبل خلق النبي آدم هو رسول الله ﷺ، ومعه تجليات الحقيقة المحمدية: أهل البيت عليهم السلام.

ويتحدث العلماء عن هذه الحقائق عند الحديث حول الآيات المرتبطة بمرحلة ما قبل الخلق ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢

ويجري في الحديث عن مرحلة ما قبل الخلق استعمال

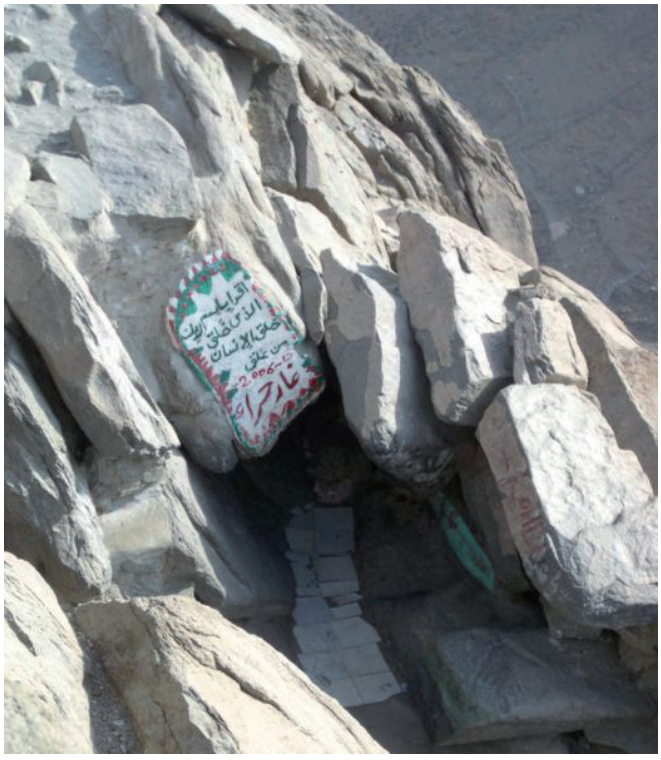

حيث بدأ نزول الوحي

مصطلحات «عالم الذر» والنور الأول، و«الأنوار المحدقة بالعرش» والأشباح. و«عالم الميثاق» وغير ذلك مما يرتبط بفضل رسول الله وأهل البيت على سائر الخلق.

وفي مايلي نموذج من حديث العلماء عن هذه المرحلة أي قبل الخلق.

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة:

«والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقاة: بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحا يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: «أنها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم»، وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضاً.

أضاف: والوجه في ما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أنْ دلَّه على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمةً لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم. ولم يكونوا في تلك الحال صوراً محياة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنها كانت صورا على مثل صورهم في البشرية تدل على ما يكونون عليه في المستقبل من الهيئة. والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم، وضياء الحق بحججهم.

وقد روي أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابه. وهذا غير منكر في العقول ولا مضاد للشرع المعقول، وقد رواه الصالحون الثقاة المأمونون، وسلَّم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره».

المسائل السروية، الشيخ المفيد، ص ٣٧

وينبغي التنبه هنا إلى أن هذه الحقائق رغم كونها من صلب العقيدة إلا أنها أصبحت في كثير من الأوساط – نتيجة فتك الغزو الثقافي– من الغيب المغيب بذريعة أنه غيب. كأن المراد من لفظ الغيب: أن يُسحب من التداول ويغيب. والحال أن الإيمان بالغيب عصب الإيمان. والغيب بالنسبة إلى عالم الشهادة كالروح بالنسبة إلى الجسد، وكالعقل بالنسبة إلى الإنسان.

ومن الواضح أن من يقع في مغالطة تغييب «الغيب» وإخراجه من دائرة الواقع الموضوعي، والإكتفاء بالإقرار بالإيمان بالغيب، فلا بد من أن يقع في تناقضات بين معتقده وسلوكه، ثم لابد من أن يقع في تناقضات في معتقده.

من هذه التناقضات في السلوك أن لاتكون مكارم الأخلاق هي الشغل الشاغل، والجهاد الأكبر العملي والدائم. أللهم أعنا على أنفسنا.

ومن هذه التناقضات في المعتقد أن يعتقد بأن رسول الله سيد النبيين، ويعتقد مع ذلك بأنه صلى الله عليه وآله لم يعرف بنبوته إلا من ورقة بن نوفل!

لما تقدم، تمس الحاجة إلى استحضار هذه الثوابت العقائدية التي تتمحور حول حقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وآله سر الوجود وجميع النشآت بإذن الله تعالى.

جاء في زيارة رسول صلى الله عليه وآله: «**السلام على محمد أمين الله على وحيه وعزائم أمره، ومعدن الوحي والتنزيل، والخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كله، والشاهد على الخلق، السراج المنير.**»

وفي تفسير «المهيمن على ذلك كله»، قال بعض العلماء: أي الشاهد على الأنبياء والأئمة عليهم السلام وقال السيد الطباطبائي عليه الرحمة: «الأنبياء شهداء ومحمد صلى الله عليه وآله شهيد عليهم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم شهيد الشهداء فهو شفيع الشفعاء ولولا شهادة الشهداء لما قام للقيامة أساس».

تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١، ص١٧٩

بشارات الأنبياء بخاتم النبيين

بَشَّرت الكتب السماوية وبشَّر الأنبياء السابقون عليهم السلام بنبينا محمد صلى الله عليه وآله، ومع أن أتباع الأنبياء السابقين قد حرَّفوا كتبهم لكي لا يبقى أثر لتلك البشارات، فإن المتأمل في ما بقي منها تنكشف له الحقيقة التي أكدها القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ البقرة: ١٤٦

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ البقرة: ٨٩

وعلى لسان النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ الصف: ٦

تحت عنوان البشارة بالنبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام، قال الشيخ المفيد:

"ومثل ما بشر به آدم عليه السلام من تأهيله نبيه عليه وآله السلام لما أهَّله له، وتأهيل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام لما أهَّلهم له، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم، كما بشر به في الكتب الأولى من بعثه لنبينا صلى الله عليه وآله، فقال في محكم كتابه:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

وقوله تعالى مخبرا عن المسيح عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ الصف: ٦

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ آل عمران: ٨١

يعني رسول الله صلى الله عليه وآله. فحصلت البشائر به من الأنبياء أجمعهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه وأشخاص أهل بيته عليهم السلام، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم ويبين له عن محلهم عنده ومنزلتهم لديه.

المسائل السروية، الشيخ المفيد، ص ١٤

وتحت عنوان "البشارة بالنبي والأئمة في الكتب الأولى". قال عليه الرحمة:

"وقد بشر الله عز وجل بالنبي والأئمة عليهم السلام في الكتب الأولى، فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام، وأهل الكتب يقرأونه، واليهود والنصارى يعرفونه: أنه ناجى إبراهيم الخليل عليه السلام في مناجاته: «**إني قد عظمتك وباركت عليك وعلى إسماعيل، وجعلت منه اثني عشر**

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ البقرة: ١٤٦

عظيماً وكثرتهم جداً جداً، وجعلت منهم شعباً عظيماً **لأمة عظيمة** ». وأشباه ذلك كثير في كتب الله تعالى الأولى".

المسائل السروية، الشيخ المفيد، ص ٣٤

قال المرجع الشيخ الوحيد دام ظله:

" يكفي لإثبات بشارات التوراة والإنجيل بنبينا محمد ﷺ، أنه دعا اليهود والنصارى وحكامهم وأحبارهم ورهبانهم وقساوستهم إلى الإسلام، وأعلن رفضه لعقيدة اليهود { عزير ابن الله } ولعقيدة النصارى { إن الله ثالث ثلاثة } . وأعلن بكل صراحة بأنه هو الذي بشرت به التوراة والإنجيل ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾، ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ١٥٧

فهل كان يمكنه إعلان ذلك أمام أولئك الأعداء الذين كانوا ينتهزون الفرصة للقضاء عليه حتى لا يفقدوا موقعيتهم المادية والمعنوية؟

إن الأحبار والقساوسة وعلماء اليهود والنصارى وسلاطينهم الذين توسلوا بكل الوسائل للوقوف أمامه وبذلوا جميع جهودهم للتصدي له، ورجعوا خائبين مندحرين حتى في الحرب والمباهلة، قد سكتوا في مقابل تأكيد رسول الله على أنه هو الذي بشرت به كتبهم، وهو تأكيد لايبقي لهم ولا يذر، وعجزوا عن مواجهة هذا التأكيد النبوي وإبطاله.

إن هذا السكوت الفاضح من علماء اليهود والنصارى وأمرائهم، وذلك الإدعاء الواضح منه صلى الله عليه وآله وسلم، برهان قاطع على ثبوت تلك البشارات في ذلك الزمان.

منهاج الصالحين
الشيخ وحيد الخراساني
(بتصرف يسير)

كيف تعاملت قريش مع البعثة

عن أمير المؤمنين علي عله السلام:

لقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد إنك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب.

فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله : إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟

قالوا نعم، قال فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يُطْرَحُ في القليب، ومن يُحَزِّبُ الأحزاب.

ثم قال صلى الله عليه وآله:

« **يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله** ».

فوالذي بعثه بالحق لانْقَلَعَتْ بعروقها وجاءت ولها دَوِيٌّ شديد وقَصْفٌ كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله.

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا – عُلُوّاً واستكباراً – : فمُرها فليأتك نصفها ويبقي نصفها فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّا، فكادت تلتف برسول الله ﷺ فقالوا – كفراً وعُتُوّاً – فَمُرْ هذا النصفَ فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وآله فرجع.

فقلت أنا: لا إله إلا الله فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأوّل من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك.

فقال القوم كلّهم: بل ساحر كذاب، عجيبُ السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا، « يعنوني ».

ولقد رآه بالأُفُقِ المبين

اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

رنَّة الشيطان حين نزول الوحي عليه، أم يرجف بها فؤاده؟!
قعد بين يديه كما يقعد العبد، أم غَطَّه غَطَّاً؟!

.. «ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير وإنك لعلى خير..».

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

بدء نزول الوحي على رسول الله، أو المبعث النبوي أو البعثة تعابير مختلفة تلتقي عند مضمون حلول لحظة الرسالة الخاتمة.
والرسول هو النبي الأعظم الذي كان أول من خلق الله تعالى، فهو أول الأنبياء خلْقاً، وآدم نبي، فهو إذاً النور الأول الذي خلق الله تعالى منه كل خيراً ومن هذا الخير النبي آدم على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.
منذ سبَّحت الملائكة بتسبيح الحقيقة المحمدية، كان للنبي الأعظم عند جميع الملائكة ومن ساداتها جبرئيل عليه السلام، منزلة إلهية فريدة.

أدب جبرئيل عليه السلام:

يحدثنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن مهابة النبي الأعظم في قلب جبرئيل عليه السلام، بلغت حيث إنه كان إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله، قَعَدَ بين يديه قَعْدَةَ العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه.
وقد سُئل الصادق عليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النبي صلى الله عليه وآله، أكانت تكون عند هبوط جبرئيل؟ فقال: «لا، إن جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله، لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة».
وبناءً على ما تقدم فإن أدب جبرئيل عليه السلام مع سيد الأولين والآخرين وسيد الخلق أجمعين، يحتِّم أن تكون مخاطبته لرسول الله ﷺ بالوحي متلازمة مع هذه المهابة النبوية في قلوب الملائكة والنبيين وجميع الأولياء لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ولا ينقضي العجب

رغم إجماع المسلمين على هذه العظمة المحمدية،المرتبطة جذريا بما تقدم من الثوابت الإعتقادية التي تلتقي عند حقيقة أن النبي ﷺ أول النبيين خَلقاً– رغم ذلك– فقد انتشرت في أكثر كتب الحديث والسيرة وغيرها وعلى أوسع نطاق فرية خبيثة قيل إنها على لسان عائشة، ولا يعلم هل صدرت عنها أم لا، إلا أنها منسوبة إليها في صحيح البخاري وغيره.
والتأمل في نوعية المرويات عن أم المؤمنين لا يبعد احتمال صدورها عنها بل يقويه.
ومن الواضح أن عائشة لم تكن عند نزول الوحي في وضع يمكنها من رواية ما جرى، ولا يرد في الرواية نسبة المضمون إلى رسول الله ولا إلى غيره.

كما أن من الواضح جيداً لدى المختصين بدراسة الأسناد، وعلم الرواية والدراية عموماً، أن رواة هذه الفرية من الزبيريّين لا يُعتمد على مروياتهم.

هذه الفرية المنتشرة إلى حد الشياع الواسع جداً، تتضمن ما يلي: « .. فكان يخلو بغار حراء، فجاءه الملك فقال: إقرأ. قال ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: إقرأ، فقلت ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. إقرأ وربك الأكرم. قالت عائشة: فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زمّلوني. زمّلوني. فزمّلوه فقال لخديجة وقد أخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك أبدا، إنك لَتَصِل الرَّحِم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. قالت عائشة فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنَصّر، وكان يكتب الكتاب العبراني، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً – شابا – ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال: أو مخرجيَّ هم ؟» الخ.

أبرز مفتريات الوضاعين:

عندما نلاحظ أن الحكم باسم رسول الله من قبل أنظمة الجور والإمبراطوريتين الأموية والعباسية، قام على أساس الملك العضوض والسلطة والمال وحب الدنيا، وبكلمة: الحكم من أجل الحكم، والسلطة للسلطة، يتضح أن الحاكم لم يكن معتقداً بالإسلام كدين إلهي ولا بالرسول كنبي وخاتم الأنبياء، بل كان الحاكم الجائر يتخذ الإسلام وسيلة لتثبيت حكمه وبقاء إمبراطوريته وسلسلتها.

كان الجميع على دين معاوية: قال رسول الله وأنا أقول. وهو ذات المنهج القائل: أو كلّما أراد رسول الله كان. أراد الرسول وأراد الله شيئاً آخر.

أورد ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

وروى أحمد بن أبي طاهر في كتاب «أخبار الملوك» أن معاوية سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله، « .. » فقال: لله أبوك يا بن عبد الله ! لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يُقرَن اسمك باسم رب العالمين !.

ما بين الكفرين المضمر والمعلن تأسست امبراطوريات وقامت أنظمة باسم رسول الله ﷺ، ولقد كان من أولى ضرورات هذه الخطة الشيطانية، الفصل بين رسول الله وبين أهل البيت، ثم حصر مهمة رسول الله بشؤون الدين «أنتم أعلم بأمور دنياكم!» ثم التفلّت من كل حكم ديني يقيد السلطان. رأى أحد الصحابة معاوية يأكل في أواني الذهب والفضة فقال له لقد حرّم رسول الله ذلك. فقال معاوية: أما أنا فلا أرى فيه بأساً!

فرية أنظمة الجور: «فغطني» ومعرفة النبي بالنبوة من متنصر !

وقد قضت هذه الضرورة الأم للطواغيت أن توضع روايات تضعف شخصية رسول الله وتمس من قدسيته صلى الله عليه وآله. ولا يجد الباحث رواية مدماكاً للوضاعين في باب النيل من العظمة المحمدية كهذه الرواية عن البعثة: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني. فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ قالت عائشة: فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زمّلوني. زمّلوني.»

ثم تكمل الفرية بتثبيت!! ورقة بن نوفل فؤادَ سرِّ النبيين وسرِّ الوجود ومَن لولاه ماخلق الله تعالى آدم ولاكان زيدٌ في الوجود ولاعمرو.

وقد تناول علماء الإسلام المحمديين حقاً هذه الفرية الماكرة بالنقد والتحليل فأثبتوا زيفها سنداً ومتناً.

من أبرز من عالج ذلك: السيد شرف الدين في كتابه النص والإجتهاد. والسيد مرتضى العسكري في كتابه أحاديث أم المؤمنين عائشة، والسيد جعفر مرتضى في كتابه الموسوعي: الصحيح من السيرة. جزاهم الله تعالى خير الجزاء.

هذه الفرية من أخطر الإساءات إلى عظيم منزلة أقرب الخلق إلى الله تعالى وسيد النبيين، المبثوثة في كتب السيرة، والتي بنى عليها المستشرقون والمتغربون، وهي التي شكلت قديماً وراهناً نقطة ارتكاز الدوائر الإستعمارية التي تخطط للمس بقدسية رسول الله صلى الله عليه وآله.

على كل مسلم أن يصحح شهادته للرسول الأعظم بالنبوة ويُنقّيَها من زيف هذه الفرية الأموية. فرية المؤسسين لظلم رسول الله وأهل البيت صلى الله عليه وعليهم.

حقيقة البعثة في فكر الإمام الخميني

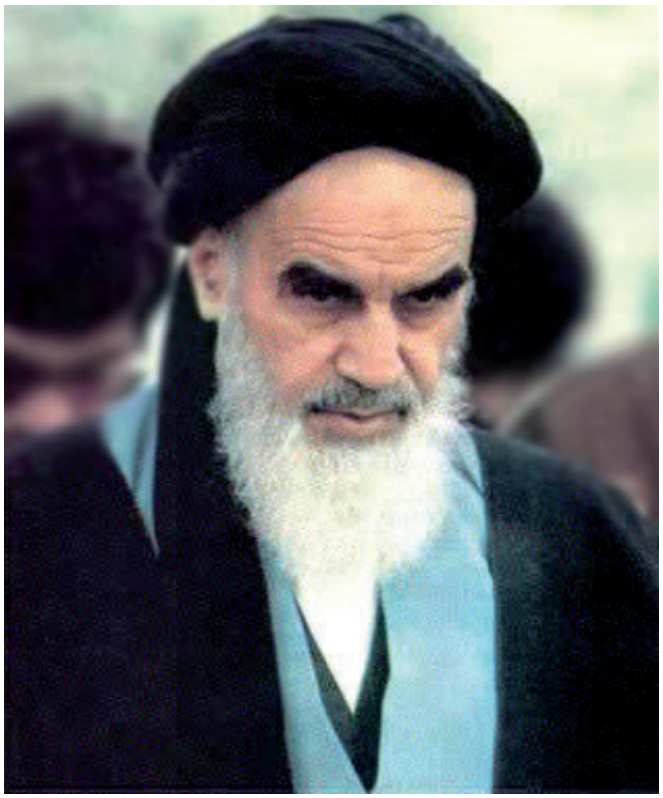

«إن قضية المبعث وماهيته وبركاته ليست بالأمر الذي بوسع ألسنتنا العاجزة الخوض فيه. إذ أن أبعاده المعنوية والمادية على درجة من السعة والشمول بحيث لا أتصور أن بالإمكان التحدث عنها وتناولها..»

الإمام الخميني قدس سره

السيد عباس نورالدين*

بهذه الكلمات التي تنطلق من العجز العرفاني وعرفان العجز يبدأ الإمام الخميني حديثه عن البعثة مخاطباً جمهور المسلمين، ساعياً لفتح نافذة غيبية ملكوتية على قلوب المستعدين، موقظاً من يجهل وهو يظن أنه يعلم من خلال الإشارة إلى عمق بعض الأبعاد المعنوية لهذه الحادثة الإلهية الكبرى.

ليست البعثة النبوية الشريفة بالنسبة للإمام مجرد تاريخ أو بداية، زمان جديد كما يكون الصفر نقطة انطلاق العد، بل إنها تحكي عن حقيقة و حادثة عظيمة كانت سبباً لكل ما جاء بعدها، وما التحولات الكبرى التي جرت على صعيد مكة والعالم من ورائها إلا ثمرة هذه الواقعة الإلهية الكبرى.

لو قدر لنا أن نصف جميع أحداث التاريخ الكبرى بحسب البعد الإلهي بأنها أفعال الحق المتعال، وأنها أعمال الإله العظيم التي تنبع من صفاته وتحكي عن شؤوناته، لكانت البعثة أعظم أفعاله سبحانه.

إن خلق الإنسان والعالم بل العوالم كلها كان مقدمة لهذه الحادثة العظيمة التي تجلت فيها الألوهية بكل أبعادها ومراتبها على قلب إنسانٍ لم ولن يأتي مثله في الوجود. ولو لم يكن هذا الإنسان في منتهى العظمة والكمال لم تكن هذه البعثة لتتحقّق. ومن هنا يُروى: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

يمكن القول إن سر البعثة كامن في سر شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وسر هذه الشخصية كامن أيضا في سر البعثة. فبحلوله صلى الله عليه وآله في قمة الإنسانية وما فوقها استدرج هذا الإنبعاث الكبير، وكانت البعثة بما تضمنته من معان يعجز البشر عن إدراكها كاشفة عن عظمة «مُستنزِلها» صلوات الله عليه وآله.

إن بعث أي نبي من الأنبياء يمثل بحد ذاته أمراً في غاية العظمة، لأن مثل هذا الأمر يتطلب تجلياً إلهياً استثنائياً على قلب استثنائي هو قلب هذا النبي. فما لم يكن النبي في مرتبةً ما، لا يمكن أن تتحقق البعثة، فيبقى هذا

* مدير مركز باء للدراسات

التجلي بالتالي سراً مكنوناً. لكن الله غالب على أمره، ولا بد أن يحقق وعده، ويظهر عظمته ويتجلى بجميع أسمائه الحسنى، فبعث النبيين واحداً بعد واحد، أعطى لكل منهم حكومة إسم من الأسماء الإلهية. ثم شاء سبحانه وتعالى أن يتجلى بًاسمه الجامع لجميع الأسماء والصفات، وكان هذا التجلي ينتظر قلباً نقيا أحمدياً؛ وهكذا كانت بعثة المصطفى الحبيب سيد الأنبياء والأولياء والخلق أجمعين.

البعثة هي مناسبة تجلّي الحق، والمبعوث هو مورد التجلّي. وما يجري إثر البعثة إنما يكون بمنزلة التفاصيل والجزئيات لتلك المناسبة الإلهية. فجميع البركات التي تحدث بعد البعثة ليست سوى تنزّلاتها ولواحقها وفيوضاتها ورشحاتها.

إن بعث أي نبي يمثل تجلي حكومة اسم من اسماء الله تعالى، أما بعثة نبي الإسلام المكرّم فقد كانت تجلّي حكومة الإسم الأعظم الجامع لجميع الاسماء، ومثل هذا الإسم له الحكومة المطلقة، ولأن لهذا الإسم بحكم الجامعية الإحاطة بكل الأسماء، فمظهره يكون «مهيمناً»، فينهي ويختم دورة العالم بإرجاع الكل إليه سبحانه.

النبي الأعظم بولايته وحقيقته النورانية هو الأول :«أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»، وبحكم دولته هو الآخر والخاتم: «محمد رسول الله وخاتم النبيّين». وما جاء جميع الأنبياء من أجله يتحقق بفضل بعثته الشريفة التي أذنت بانتهاء دولة الباطل: كما في حديث الإمام علي عليه السلام عندما سأل رسول الله عن رنة الشيطان حين نزول الوحي، فقال صلى الله عليه وآله: «يا علي، إن هذا الشيطان قد آيس من عبادته».

ولما كان القرآن في مرتبته الباطنة، بل في حقيقته المطلقة مظهر الإسم الأعظم، بل حقيقة الإسم المستأثر الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فإنّ نزول القرآن على قلب النبي الأكرم الذي به فتح باب جميع الخيرات، يحكي عن عظمة البعثة. وبعبارة أخرى، إتخذت البعثة بهذا الحدث الكبير مرتبة لا يدانيها حادث في الوجود.

يقول الإمام الخميني قدس سره:

«أن القرآن ذو أبعاد لم تتضح لأحد من كائنات الملك والملكوت قبل أن يُبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وقبل أن يتنزل القرآن من مقام الغيب ويتجلى بمظهره النزولي على قلب رسول الله. فبعد ان اتصل المقام النبوي المقدس للولي الأعظم بمبدأ الفيض – بالمقدار الذي كان قابلاً للاتصال – اكتسب القرآن مرتبة النازل المنزّل وتجلى في قلبه المبارك، ومع نزوله إلى المراتب السبع جرى على لسانه المبارك. وان القرآن الموجود في أيدينا هو النازلة السابعة للقرآن وهو من بركات البعثة».

ولأن معرفة الله تعالى هي المقصد الأعلى لكل بعثة، ولأن القرآن باب معرفة الله تعالى الذي لولاه لبقي باب معرفة الله مسدوداً إلى الابد، فإن بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مثّلت الفتح العظيم الذي لولاه لما فتح هذا الباب الذي كان جميع الأنبياء تواقون إليه. وإن المنة التي لرسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء تكمن في هذه الحقيقة بالتحديد، وإنما لحقوا عليهم السلام لأنهم قبلوا أن يكونوا ممهدين لظهوره المبارك. فهناك يفيء الغالي ويلحق التالي. ولم تكن هذه المعرفة المنتظرة من سنخ المعارف الجافة للفلسفة اليونانية التي يكتفى فيها بالدليل، بل كانت معرفة شخصية وقلبية حضورية تنكشف معها جميع الحجب:

يقول الإمام:«لقد أوجدت البعثة تحولاً علمياً– عرفانياً في العالم بحيث تحولت الفلسفة اليونانية التي أنجزها اليونانيون وكانت ذات قيمة أيضاً، إلى عرفان عيني وشهود واقعي لأرباب الشهود».

يضيف رضوان الله تعالى عليه: «ويتجلى البعد الآخر في عرفان القرآن، وأن هذا القدر الموجود في القرآن لا تجدونه في أي كتاب آخر، وأن التعابير الواردة في القرآن تختلف تماماً عن تلك المتداولة في كتب العرفان الإسلامي رغم النقلة النوعية التي ارتقت إليها بالنسبة إلى ما كان متداولاً في العرفان قبل الإسلام. وكل هذا من بركات البعثة».

ورغم عظمة القرآن وعلوّ شأنه بما لا يتناهى، فإن الله تعالى به فتح باب العرفان حينما نزّله إلى مستوى اليسر ليكون ذكرى للذاكرين:

«إن لغة القرآن، التي هي من البركات الكبرى لبعثة رسول الله، هي لغة السهل الممتنع».

ولا ننسى أن لهذه البعثة توجها نحو الخلق، وإنما ظهرت آثارها في هذا العالم من أجلهم، مثلما كان خلق النبي الأكرم من أجل تحققها.

يقول الإمام الخميني:

«إن هدف سعي الأنبياء وفكرة البعثة في جميع القرون هو تربية هذا الموجود [الإنسان]، هذا الموجود الذي يمثل خلاصة جميع المخلوقات وبإصلاحه يتم إصلاح العالم وبفساده ينجرّ العالم إلى الفساد».